محاضرات في الأدب المملوكي

المحاضرة الأولى: **د.بشرى ابراهيم**

البيئة العامّة لدولة المماليك :

الجو السياسي :

في سنة ٦٤٨ هـ والقرن السابع الهجري يقترب من نصفه الثاني، انتهت دولة الأيوبيين في مصر ،وقامت دولة المماليك التي بدأت بجارية للسلطان الأيوبي الملك الصالح نجم الدين،هي شجرة الدر، والتي أصبحت زوجة للسلطان الأيوبي، ثم تولت السلطنة بعد موته،وتزوجت بأحد أمراء المماليك وهو عز الدين أيبك.

وكانت انتهاء دولة الأيوبيين نتيجة حتمية لعوامل عدة تضافرت عليها، منها:

١_ تكالب الأعداء من الخارج،وثورات العربان والخارجين في مصر وغيرها.

٢_ تورط الأيوبيين أنفسهم في نزاع مرير فيما بينهم.

٣_ استكثار الأيوبيين من اقتناء المماليك للاعتماد عليهم في نصرتهم.

٤_ إهمالهم لشؤون الرعية،وسوء معاملة مماليكهم للناس.

٥_ تدهور الأحوال الاقتصادية بزيادة نفقات الحرب والأعمال العسكرية،ورواتب العسكر ،مما أدى إلى تدهور مالي واجتماعي.وأدى هذا بدوره أو ساعد على تفشي النكبات والجوائح كالطواعين والأوبئة التي حصدت من النفوس العدد الوفير ،وأنهكت ما تبقى من الناس.

٦_ المجاعات المتتابعة والزلازل.

وهكذا سقطت دولة الأيوبيين في مصر باستيلاء شجرة الدر على الملك،ومقتل ابن زوجها السلطان (توران شاه)على يد جماعة من أمراء المماليك بعد موقعة المنصورة.

وتمكنت شجرة الدر بدهائها أن تحكم فترة غير طويلة،بسبب قيام المعارضة عليها واشتدادها،وخاصة من الخلافة العباسية التي كانت تلفظ آخر أنفاسها،ولكن بقي لها النفوذ الأدبي والديني، فلم يسغ الخليفة العباسي أن تتولى امرأة شؤون مصر ،وبعث إلى أمرائها برسالة شديدة يقرعهم فيها،قائلاً لهم : كيف تولون عليكم امرأة؟إذا لم يكن بينكم رجال بعثنا إليكم بواحد من عندنا.

وكانت قوة المماليك قد ظهرت منذ أن استكثر منهم نجم الدين،وكان شراء المماليك يتم من الأمم التركية التي فرت مذعورة من أوطانها حول بحر قزوين وبلاد القوقاز أمام زحف التتار الذي اكتسح أمامه تلك الأصقاع بعد أن قضى على الدولة الخوارزمية وآخر ملوكها جلال الدين منكبرتي. وكانت هناك مصادر أخرى لشراء المماليك من بلاد أوروبا وأصقاعها الشمالية،فقد وجد بين المماليك من ينتمون إلى أصل رومي،أو صقلبي،كذلك وجد بينهم من كانوا من أصل تتري نتيجة الحروب ووقوع كثير من أسرى التتار في أيدي المصريين.

وكان من عادة السلطان وكبار أمراء المماليك أن يختاروا جماعات منهم لشرائهم.وجاراهم في ذلك كبار رجال الدولة،فكانوا يضمون الذكور للجيش أو الخدمة في القصور،ومرافقتهم في المواكب،ويضمون الإناث للحريم.

ودربت أعداد كبيرة منهم على الفنون العسكرية،والفروسية خاصة،فبرعوا فيها وصاروا فرساناً مقاتلين من الطراز الأول،وتكونت منهم مقاتلة الجيش المصري وقوته الضاربة التي أبلت في كثير من المعارك الضارية ضد الصليبيين والفرنجة والمغول،فأحرزوا انتصارات رائعة كبيرة سجلها التاريخ لهم،وشهدت بمهارتهم الفائقة في القتال.

واستظل المماليك في دولتهم بظل الإسلام،واستندوا إلى القوة في تدعيمها،وفي الوصول إلى السلطان.فاستنادهم إلى القوة في الحفاظ على كيانهم كان سياسة مرسومة يأخذ بها كل من يتولى منهم أمر السلطنة،أو من يصبو بهمته إليها.فالقوة هي أساس الحكم المملوكي،وقانونها هو الأعلى،فمن يملك القوة يستطيع أن يتولى السلطنة حتى لو كان عبداً.

وهكذا قامت دولة المماليك في مصر،وعاشت طوال تلك القرون الثلاثة ترتع وتمرع، فقد تأسست الدولة الأولى المسماة بالمماليك التّركيّة (البحرية) باستيلاء شجرة الدر أم خليل على السلطنة سنة (٦٤٨ هـ،١٢٥٠ م) .وانتهت بموت السلطان الملك الصالح زين الدين حاجي سنة (٧٨٤ هـ ، ١٣٨٢ م). وقامت الدولة الثانية الجركسيّة(البُرجيّة) بتولي السلطان الظاهر برقوق، وانتهت بآخر سلاطينهم الأشرف طومان باي.

وكان عمر الدولة الأولى مايقرب من قرن ونصف،تولى الحكم فيها خمسة وعشرون سلطاناً، منهم لم يتول السلطنة إلا بضعة أيام،أو بضعة شهور، ومنهم من طالت مدة سلطنته،واستقرت سنوات طوالاً،ومنهم من تولى الحكم صبياً،أو طفلاً ،وكان يقوم بأمرهم أتابك أو نائب السلطنة،أو كبير الأمراء ،أو قائد الجيش.

ومن أشهر سلاطين الدولة الأولى وأقواهم وأبعدهم أثراً في الحياة والأدب: السلطان الظاهر بيبرس البندقداري،الذي ظل حكمه اثنين وعشرين عاماً،قام في أثنائها بكثير من الحروب والحملات ضد التتار والصليبيين في الشام والعراق وأرمينيا،وجنوباً في النوبة وشمال السودان.

كان من نتيجتها كسر حدة الموجات التترية،وتصفية الجيوب الصليبية،وتأمين الحدود الجنوبية لمصر ،واستعادة النفوذ على النوبة من أيدي مملكة النوبة المسيحية.

وعمد الظاهر بيبرس إلى تقوية الجيش المصري للنهوض بتلك الأعباء الضخمة،فقد كانت العساكر في الديار المصرية في أيام غيره عشرة آلاف فارس،فضاعفها أربعة أضعاف.

وتوالى اهتمام الظاهر بتدعيم القوة العسكرية لدولته،والوقوف في وجوه الأعداء المحدقين بمصر والشام،وإرغامهم على الفرار أو الاستسلام،واهتم بالجانب الديني في عصره،وأراد أن يدعم سلطنته القائمة على قوة السيف ،بالقوة الفكرية والدينية. وحتى يُمكّن مصر من تزعم الدول الإسلامية بعد بغداد؛ استدعى أحد الخلفاء العباسيين،وولاه الخلافة بالقاهرة،وأوكل إليه كل ما يتعلق بأمور الدين من تولية القضاة،ومبايعة السلاطين،وتعيين خطباء المساجد وشيوخ المدارس الدينية ودور الحديث والقرآن.

وبعد بيبرس تولى السلطنة أبناؤه الصغار الذين لم يعمروا فيها كثيراً،وسرعان ما انتقلت هذه السلطنة من بيته إلى المنصور قلاوون مؤسس الأسرة القلاوونية الشهيرة في عصر الدولة الأولى،والتي تولت أكثر زمن تلك الدولة،وكان من أبنائها جماعة من كبار السلاطين الذين خلفوا آثاراً خالدة في التاريخ المصري،والتاريخ الإسلامي والعربي عامة،أمثال الأشرف خليل، والناصر محمد،والناصر حسن.

المحاضرتان الثانية والثالثة: **د.بشرى ابراهيم**

الشعر في العصر المملوكي :

في العهد المملوكي الأول كان الأشرف خليل بن قلاوون يعقد المجالس الأدبية،ويطارح الأدباء فيها بذهن صاف وذكاء مفرط.وقد حفز المماليك الأتراك على العناية بالشعر،لأنهم كانوا يريدون أن يرفعوا من قدر أنفسهم لما كانوا عليه من رقّ،حتى يشيد الشعراء بمآثرهم،فينسى الناس ماضيهم.

وقد عُرفت مذاهب أدبية مختلفة في هذا العصر تتأرجح بين التقليد في المعاني والأساليب،والتجديد فيها،على تفاوت بين الشعراء،وتفاوت بين الموضوعات بالنسبة إلى الشاعر نفسه.

ونجد بين الفريقين المقلّد والمجدّد جماعة أخذوا من القديم معانيَهُ،ومن الجديد أساليبَهُ،فبقوا ينظمون في الموضوعات التقليدية،ولكنهم أضافوا إليها النظم في الفنون (أو القوالب) الجديدة.

وثمة فنون كانت معروفة من قبلُ،ولكنها زادت نموّاً وشيوعاً،فقد أدّت الحروب الصليبية ثم المغولية إلى الإكثار من أدب الجهاد والحضّ عليه،ووصف الجيوش وآلات الحرب والحصون،وإبراز فضائل الشجاعة والتضحية والنخوة والبطولة،وهي فنون شارك فيها الشعراء والكتّاب معاً،وكانت معروفة من قبل،لكن العناية بها ازدادت في هذه الحقبة،وأدّت هذه الحروب ضمن عواملَ أخرى إلى انتشار التصوّف، وازدهار الأدب الصوفي شعراً ونثراً.

أغراض الشعر وفنونه في العصر المملوكي:

عالج الشعراء في هذا العصر أغراض الشعر العربي المعروفة،واخترعوا بعض الفنون،وتناولوا كثيراً من المعاني المولّدة في العصر العباسي،وقد دعت طبيعة العصر والأحداث وتلاقي التيارات المشرقية والمغربية إلى ظهور آثار في المعاني الشعرية وطوابع عامة تطبع هذا العصر بمياسمها،وهي تتكون من تجمع الميزات الذاتية لمختلف الشعراء،وتكوينها إطاراً عاماً مشتركاً بينهم،يُعبّرون فيه عن عهدهم بصدق.

وكان من أثر الحياة العامة في الأدب،ولا سيما في العصر المملوكي ما يأتي:

١_ إيثار الرِّقة والسهولة في المعاني والألفاظ حتى تُقارب العامية.

٢_ زيادة العناية بالصناعة البديعية (التورية والجناس والطباق ...).

٣_ وصف الحشيشة لانتشارها على يد الصوفيين منذ أوائل القرن السابع الهجري.

٤_ السخرية لدى المصريين ،ووصف الطبيعة لدى الشاميين.

٥_ المبالغة في المعاني والصور،والإكثار من استعمال القَسَم.

٦_ التلاعب بالألفاظ والمعاني لدى المصريين حتى أصبح سمة لهم،وإن كانوا قد سُبقوا إليه.

وفي أول العصر المملوكي التركي نجد الفارق كبيراً بين شعراء الشام ومصر،فقد ازدادت السهولة في أسلوب الشعر المصري وألفاظه،حتى قرُبَ من العاميّة،وشاعت فيه السخرية،كما هي الحال في شعر(الجزّار،والورّاق،والحمّامي)،على حين نجد الشعر في الشام أكثر جزالةً ومحافظةً على أصالة الشعر العربي كما هي الحال في شعر(شرف الدين الأنصاري،والشهاب محمود)،على أننا نجد شعراءً في الشام قد مالوا إلى سهولة الأسلوب والألفاظ ،كـ (الشّابّ الظريف) في أول هذا العهد،وزاد ذلك في آخره.

ونستطيع القول : إن أسلوب الفنون المستحدثة قد شاع كثيراً في هذا العهد،ونظم الشعراء في جميع أنواعه؛كالمواليا والزجل والقوما والكان كان والحجازي،بالإضافة إلى الموشّح والدوبيت اللذين شاعا من قبل في العهد الأيوبيّ.

وفي العهد المملوكيّ الجركسيّ نرى الأسلوب التقليدي يقلّ استعماله كثيراً،فتُجانِبُ الشعرَ القوّةُ والجزالةُ، ويُكثِرُ الشعراء من الفنون البديعية في شعرهم،ومن نَظْمِ المقطّعات،ويُكثرون من استعمال العاميّة في الفنون المستحدثة بدءاً من الموشّحات والزجل الذي تطوّر عنها،وانتهاءً بالقوما والكان كان والحجازي والحورانيّ.

ونلاحظ في العصر المملوكي وجود أدباء جمعوا بين الكتابة والشعر،نجد منهم في العهد المملوكي التركي : (الشهاب محمود).

وفي العهد المملوكي الجركسيّ نجد: (ابن مكانس، وابن حجة الحموي،وبدر الدين محمد بن علي بن فضل الله العمريّ،وسراج الدين عمر البُلْقِينيّ،وتاج الدين بن عَرَبْشاه،وقانصوه الغوريّ).

من أغراض الشعر في العصر المملوكي:

غرض المديح:

يعدّ المديح من أهمّ أغراض الشعر في هذا العصر،فهو يُمثّل الروح التقليدية عند شعراء العصر أصدق تمثيل.ويلوح لنا أن معظم الحكّام _ على تفاوت أقدارهم ومراتبهم في نفع البلاد والعباد،واختلاف أصولهم وعقائدهم _ نالهم مديح كثير من شعراء زمانهم.

أولاً: المديح التّقليديّ:

عمد الشعراء في **العهد المملوكيّ التُّركيّ** إلى تقليد من سبقهم في معانيهم باستخدام قالب حسن دون أن يروا في ذلك عيباً،يقول أحدهم وهو (مجير الدين بن تميم):

أُطَالِـعُ كـــلّ ديـــوانٍ أراهُ ولم أزجرْ عن التضمين طَيْري

وآخذُ كلّ بيت فيه معنـــىً فشِعري نصفهُ من شِعر غيري

وكان الشعراء أحياناً أخرى يأخذون المعاني القديمة،ويردّدونها كما هي،ومثال ذلك قول (صفيّ الدين الحلّيّ) وهو يمدح (المنصور بن أرتق) من قصيدة بعد الغزل، يقول:

وأظلُّ في جول البـــــلاد كأنّني سيفُ بن أرتقَ لا يقرُّ بغمده

الصالح الملك الذي صلُحت به رتب العلاء ولاح طالع سعده

ملكٌ حوى رتب الفـــخار بعينه والملك إرثاً عن أبيـــه وجدّه

والوحشُ تُعلنُ أنّها من رهـطه والطير تدعو أنها من وفــده

نجد أنّ الشاعر في الأبيات السابقة يعتمد على الصور القديمة التقليدية،ويستحضرها كما هي تماماً عند الأقدمين،لكنه يُكثر منها ويحشدها بحيث تتوالى وتزدحم،وتدلّ على غزارة ثقافته الأدبية،ولكننا في الوقت نفسه نجد بعض الشعراء الذين يعتمدون

على المعاني القديمة،لكنهم يحاولون تجديد القوالب التي تضمّنتها،كما يُضيفون إليها بعض المتمّمات لنجدها في حلّة جديدة،ومثال ذلك قول (صفي الدين الحلّي)في أحد القصائد التي مدح بها الملك (المنصور نجم الدين أبا الفتح غازي بن أرتق)،يقول بعد التّغزّل:

يا أيّها الملك المنـــصور طائره ومن أياديه كالأطواق في عنقـــــي
أحييتَ بالجـود آثار الكرام وقـد كان النّدى بعـدهم في آخر الرّمـــق
لو أشبهتك بحارُ الرّوم في كرمٍ لأصبحَ الدُّرُّ مطروحاً علـــى الطُّرُقِ
لو أشبه الغيثُ جوداً منك منهمراً لم ينجُ في الأرض مخلوقٌ من الغرقِ

اعتمد الشاعر (صفي الدين الحلي) في الأبيات السابقة على المعاني القديمة المعروفة في موضوع المدح،لكنّه جدّد في عرضها وصياغتها،وأضاف بعض المتمّمات،ممّا جعل الأبيات تبدو كأنّها جديدة،ويتجلى ذلك في البيتين الأخيرين،فقد بات عُرفاً منذ القديم تشبيه الإنسان الكريم بالبحر وبالغيث،ولكن الشاعر أضاف أن البحر هو من يتشبّه بكرم الممدوح،وأنّ الغيث هو من يتشبّه بعطاء ممدوحه،فبات عطاء الممدوح هو الأصل والمنبع والمصدر،والبحر جزء منه،والغيث فرع من هذا الأصل،ولو أنّ البحر ساوى ممدوحه بالكرم،لأصبح الدّرّ مطروحاً على الطّرقات،ولو أنّ الغيث ساوى الممدوح بالجود،لغرق كلّ من في الأرض،وفي كليهما مبالغة ظاهرة مقبولة يمكن أن تُعدّ من باب الطّرافة والتجديد.

هذا في العهد المملوكي التّركيّ، أمّا في **العهد المملوكيّ الجركسيّ** فلم نجد مدائح تصل إلى مستوى المدائح في العهد الأوّل من حيث الجودة،وقد وجدنا بعض الشعراء يمدحون بشعر عاميّ بقالب الزجل،وإذا ما نظرنا إلى أنواع الممدوحين فهي نفسها،ويظهر أنّ قلّة قليلة من الشعراء كانت على صلة بالسلاطين المتنفّذين الكبار الذين لم يُشجّعوا تشجيع سابقيهم. ولذا لم يتسابق الشعراء إلى مديحهم، فخمدت قرائحهم في هذه الناحية.

ومن المدائح التي نُظمت للسلاطين ما قاله (بدر الدين محمد بن علي بن يحيى بن فضل الله العمري) للسلطان (برقوق) بعد أن فاز على خصميه (الأمير يلبغا

الناصري)،والأمير(منطاش)،وكان (بدر الدين) قد انحاز لخصمه (المنطاش) في البداية،ثمّ تحوّل إليه بعد فوزه، يقول:

يُقبّلُ الأرض عــبد بعد خدمتـــكم قد مسّه ضـــررٌ ما مثله ضـــررُ
لكنّه والورى مستبشـرون بـــكم يرجو بكم فرجاً يأتـــــي ويُنــتظرُ
والشّغل يُقضى لأنَّ الناس قد ندموا إذ عاينوا الجور من منطاش ينتشرُ
الله ينصركم طول المـــدى أبداً يا من زمانهم من دهرنا غُـــررُ

إلى جانب المدح نجد في هذه الأبيات لوناً من الاعتذار من الشاعر عن نفسه وعن الناس في انحيازهم لخصوم برقوق،وشيئاً من هجاء خصومهم ووصفهم بالظلم،وليس فيها من صفات الشعر إلا الوزن والقافية،ومن صفات السياسة نجد المكر والنفاق والانحياز إلى الأقوى،كما نجد بعض التعابير العامية مثل قول الشاعر : (والشُّغل يُقضى).

ثانياً: المديح النّبويّ :

عوامل ازدهار المديح النبوي:

أصبح المديح النبوي غرضاً رئيساً منذ العصر الأيوبيّ،وقد عرفنا هذا اللون من المديح من قبل في العصر الإسلاميّ،ولكن اتساعه وازدهاره هو الجديد،وكانت هناك عوامل كثيرة ساعدت في ازدهاره،منها: النزاع بين السلاطين،وفساد الحياة الاجتماعية،وانهيار الأوضاع الاقتصادية،واستفحال خطر الأعداء على البلاد شرقاً وغرباً، من تتار وصليبيين،واتخاذ الحروب التتارية والصليبية طابعاً دينياً،فكان من الطبيعي أن يُدافع الشعراء المسلمون عن الإسلام ومقدّساته،وأن يمدحوا الرسول الكريم صلّى اللّه عليه وسلّم،على نحو ما نرى في ميمية البوصيري وهمزيته،وأن يقوم علماء أصول الدين بالبرهنة على عقائد الإسلام ومناقشة عقيدة الفرنج.

وقد دفعت هذه العوامل الناس إلى التّشفّع بالرسول الكريم،متوسّلين به ليُذهب عنهم الكرب.

ويأتي اهتمام الحكّام والسلاطين باحتفالات عيد المولد النّبويّ الشريف في طليعة الأسباب المؤدّية إلى ازدهار هذا النوع من المديح، فضلاً عن تسييرهم قوافل الحج التي اختاروا لها طريقاً جديدة، تجنّباً لهجمات الفرنجة،وخطر الأعراب البُداة.

فقد جدّدَ المماليك في مظاهر الانطلاق والسير إلى الحج،فصنعوا المحامل التي بقيت إلى بداية القرن العشرين،وكان يرافقها احتفالات دينية فخمة في الذهاب والإياب،وكان ذلك كلّه يُثير عواطف الشعراء وأحاسيسهم الوجدانية الصادقة.

ولا يمكننا في هذا المقام أن نُغفل عاملاً مهمّاً ساعد على ازدهار المديح النبوي في العصر المملوكي؛ ألا وهو شيوع التّصوّف الذي جاء امتداداً لمدارس روحيّة،أسّسها أعلام كبار من أمثال : (السهروردي،وابن عربي،وابن الفارض).

هذا وقد حظي الصّوفيّة في العصر المملوكيّ بتكريم رجالات الحكم،فبنوا لهم الخانقاهات والتّكايا والزّوايا، ولا يمكن أن ننسى أنّ هذه الزوايا لعبت دوراً كبيراً في تطوير الإنشاد الدّينيّ والمديح النّبويّ؛ لأنَّ مبنى الطريق الصوفيّ مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالحضرة النّبويّة الشّريفة.

هذه العوامل مجتمعة أدّت إلى تطوّر المديح النّبويّ ؛ ليغدو الغرض الأوّل والرّئيس بين سائر الأغراض الشّعريّة التي عُرفت في ذلك العصر،وغدا البحث عن الأمان هو القاسم المشترك بين جميع هذه العوامل التي دفعت بالإنسان في ذلك العصر إلى اللجوء إلى رأس الأمّة،ومركز نجدتها، ألا وهو النّبيّ الكريم عليه الصلاة والسلام.

كانت لقصيدة (بانت سعاد)لكعب بن زهير أثرها الواضح عند شعراء **العهد المملوكي التّركيّ**،فعارضها (البوصيري)،لكنّه لم يبدأها بالغزل،وإنّما بدأها بالدعوة إلى التّوبة، يقول:

إلى متى أنت باللّذّاتِ مشغولُ وأنتَ عن كلّ ما قدّمتَ مسؤولُ

وقد تحدّث في هذه القصيدة عن فضل النّبيّ صلّى اللّه عليه وسلّم ومعجزاته، واختتم قصيدته بالإشارة إلى معارضته كعباً،وأنّه يرجو لنفسه العفو والغفران كما فعل كعب من قبل.

وأمّا ميميّته فقد نظمها إثر فالج أصابه،ويروى أن الرسول عليه الصلاة والسلام جاءه في المنام،بعد أن أنشدها مراراً،فمسح بيده على وجهه،وألقى عليه بردته،فاستيقظ معافىً،وتُعرف البردة باسم آخر أيضاً،منها : (البُردة، البُرأة،الكواكب الدّريّة في مدح خير البريّة)،وعدد أبياتها وصل مئة وستين بيتاً،يبدؤها الشاعر بالغزل ليكون مطلعها

متناسباً مع حبّ الرسول عليه الصلاة والسلام،ويهيئ بذلك الجو لحبّه العظيم،وهو يجعل غزله يدور في مواطن الرسالة بين مكّة والمدينة في ديار (ذي سلم)،فيقول:

أمـــن تذكّر جيران بذي ســـــلمٍ مزجتَ دمعاً جرى من مقلةٍ بدمِ

ويصف الحبّ الشّديد الذي لا يكتمه الدمع،ويُعلّل أسباب بكائه وأرقه فيقول:

أيحسبُ الصّبُّ أنَّ الحبَّ منكـــتِمٌ ما بين منسجمٍ منه ومضطرِمِ؟

لولا الهوى لم تُرق دمعاً على طللٍ ولا أرقتَ لذكر البــان والعـــلمِ

ويغتنمُ الفرصة هنا ليطلب ترك هوى النفس،والعدول عن اللّذّات،فيقول:

والنّفسُ كالطّفلِ إنْ تُهمله شبَّ على حبِّ الرّضاع،وإنْ تفطمه ينفطم

ثمّ يُشيد بمكارم الرسول صلى الله عليه وسلّم،وأنه خير العرب والعجم،يقول:

محـــــمّد ســـــيّد الكونيـــــن والثّقلـــــين والفريقين من عُربٍ ومن عَجَمِ

ويتحدّث عن الإسراء والمعراج،ويمدح الصحابة،ويختتم القصيدة بالحديث عن ذنوبه مستشفعاً بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام،طالباً الغفران عن ذنوبه.وأمّا القصيدة الهمزيّة فانطلق الشاعر بها حتى بلغت ستّةً وخمسين وأربعمئة بيت،حافظ فيها الشاعر على جمال الأسلوب وقوّة العبارة،وتأثر بها بعصره وحوادثه،وقد بدأها بتفضيل النبي صلّى الله عليه وسلّم على جميع البشر من دون استثناء،يقول:

كيف تـــــــرقى رُقيّك الأنبياءُ يا سماءً ما طاولتها سماءُ؟

ويشيد فيها أيضاً بأمجاد الرسول الكريم وطهارة سلالته منذ أن كان في صلب آدم،فيقول:

مَنْ لحوّاء أنها حملتْ أحـ ـــمـــدَ أو أنها به نُفَساءُ

يومَ نالتْ بوضعه ابنة وهبٍ من فَخارٍ ما لم تنله النّساءُ

ويتحدّث فيها عن مراحل حياة النبي صلى الله عليه وسلم منذ وُلد حتى أُرسلَ، ويتحدّث عن مكارمه ومعجزاته،ويناقش اليهود والنصارى إنكار رسالة النبي صلّى الله عليه وسلّم ظلماً،ويظهر في حديثه أثر العصر من حروب ومجادلات دينية،ويمدح

في القصيدة الصحابة رضوان الله عليهم،ويناجي الرسول صلّى الله عليه وسلّم،ويصف زيارته قبرَهُ،ويسأل الله تعالى غفران ذنوبه،مستشفعاً بالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام.

أمّا في **المديح النّبويّ في العهد المملوكيّ الجركسيّ**، فنقف على مثال واحد وهو نبويّة (ابن مليك الحموي)،مادحاً الرسول الكريم،عارض فيها تائية (ابن الفارض)،مستمدّاً معانيه من (نظرية الحقيقة المحمّدية)التي قال بها (ابن عربي)، يقول ابن مليك:

فأنتَ الذي لولاه ما كان آدمُ ولا كان نوحٌ قد نجا في السّفينةِ

له المعجزاتُ الباهراتُ وكم لنا بها ظهرتْ من آيةٍ بعد آيةِ

ولو أنّ عشبَ الأرض أقلامُ كاتبٍ لها البحرُ حبرٌ عنه في الوصف كَلَّتِ

فلا تحسبوا ما قلته حقّ قدره فما ذاكَ إلا حَسْبَ قدري وقُدرتي

أيا بن كريمٍ وابن خير كريمةٍ بكَ اليومَ أرجو كشفَ ضُرِّ كريمتي

وأرجوكَ في الحشرِ الصِّراطَ تُجيْزُني جوازَ جزاءٍ عن إجازةِ مِدحتي

_ الشاعر في هذه القصيدة يُجاري تائيّة (ابن الفارض) الذي تنافسَ كثير من الصوفيين في مجاراتها.وقد استمدّ معانيَهُ من نظرية الحقيقة المحمّدية لـ (ابن عربي) القائلة : إنّه لولا النّبيّ محمّد عليه الصّلاة و السّلام ،لما كان آدم عليه السلام، ولا كان العالم، وذلك لا يتوافق مع الشرع،والرسول عليه الصلاة والسلام نفسه ينهى عن هذا الكلام.

_ ويرى (ابن مليك) أنّ كلّ ما نظمه في مدح الرسول الكريم _ على مبالغته في هذا المدح _ دون قدر النبي عليه الصلاة والسلام،ولا يُعطيه حقّه من الوصف.

ومن حيث الفكرة يتوسّل الشاعر في مدحته،ويستشفع بالنبي الكريم،ليكشف عنه الضُّرّ علّه يبرأ من علّته،قياساً على ما حدث لـ(البوصيريّ) من قبل،إثر مدحه الرسول صلّى الله عليه وسلّم.

_ نلاحظ أنّ الشاعر قويّ العاطفة،صادق الإيمان،حسن التخييل،قويّ النسج،سهل العبارة،جزل الأسلوب،ينقاد له النظم بسهولة،كان موفّقاً في الأبيات من الوجهة الفنّيّة، إلا أنّ في بعضها تقديماً وتأخيراً جعلها دون الأبيات الأخرى في قوّة النسج.

_ إذا قارنا أبيات (ابن مليك) بأبيات (البوصيري)المشهورة،لاحظنا أنه يُقارب (البوصيري)،ولكنه لا يساويه،وإن كنّا قد أشرنا إلى التوفيق الفنّي الذي حالفه في هذه الأبيات.

المحاضرة الرابعة: **د.بشرى ابراهيم**

المديح النّبويّ عند الشّابّ الظّريف

يقول الشاعر الشاب الظريف :

أرض الأحبّة من سفحٍ ومن كُثُبِ سقاكِ مُنهمرُ الأنواءِ من كثبِ

ولا عدت أهلكِ النائين من نفس الصـ ـــبا تحيّة عاني القلب مكتئبِ

قومٌ همُ العُرب المحميُّ جارهمُ فلا رعى الله إلا أوجهَ العربِ

أعزّ عندي من سمعي ومن بصري ومن فؤادي ومن أهلي ومن نسبي

لهم عليّ حُقوقٌ مُذْ عرفتهم وكأنني بين أمٍّ منهمُ وأبِ

إن كان أحسنُ ما في الشّعرِ أكذبهُ فحُسنُ شعري فيهمْ غيرُ ذي كذبِ

يا ساكني طيبة الفيحاء هل زمنٌ يُدني المُحبّ لنيل الحبِّ والأربِ

أرضٌ مع الله عينُ الشمسِ تحرسُها فإنْ تغبْ حرستها أعينُ الشُّهبِ

التعريف بالشاعر :

الشاب الظريف (٦٦١/ ٦٨٨هـ) ، شمس الدين محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني،شاعر مترقّق،مقبول الشعر،اشتُهر بين معاصريه باسم(الشاب الظريف) لخفّة ظلِّه، وطرافة شعره، وسهولته.

ويُقال له:(ابن العفيف)؛نسبة إلى أبيه(عفيف الدين)الذي عُرف بالعفيف التلمساني،وكان شاعراً متصوّفاً مشهوراً.

ولد في القاهرة في بيت علمٍ وأدبٍ ودين، وتنقّل بين بلدان كثيرة مع والده الذي استقرّ بدمشق،واتّخذ له مسكناً في جبل قاسيون.

توفي في دمشق في ريعان شبابه،وله ديوان شعر مطبوع.

الدراسة الأدبيّة :

تُطلُّ علينا أذواق المحبّة من مطلع البيت الأول في القصيدة من خلال نبرة النداء الوجداني العميق،هذه النبرة المنطلقة من أعماق الشاعر الشاب الظريف،عندما قال : (أرض الأحبّة....). ولعلّ رابطة الحبّ التي تجذب وجدان الشاعر نحو موطن الأحبّة هي التي جعلته يُنشد لها السّقيا؛والسّقيا هي مصدر الخصب والتّجدّد والحياة والنّماء، ومصداق ذلك نراه في قوله تعالى: " وجعلنا من الماء كلّ شيء حيّ".

ويبدو الدفق العاطفي في تكثيف المشهد التصويريّ لأرض الأحبّة بتفاصيلها من سفوح وتلال في مقابل الغيث المنهمر الذي يروي عطشها،ويجدّد نماءها. واللافت أنّ مثيرات الصورة تعتمد الدّوال المشتقّة من حقل الطبيعة الصامتة،مثل: (أرض،سفح،كُثُب،منهمر،الأنواء).

ولا يمكن أن تغيب عنّا المفارقة التي نلمحها بين القرب الموازي للدعاء بالسقيا من جهة،وبين النأي الذي هو وصف ملازم للأهل من جهة أخرى؛وربّما كان الثاني سبباً لاستجلاب الوصف الأول؛وكأنّ الشاعر يحسّ بالبُعد،فيتحدّث عن القُرب،كما أنّه يشعر بالجفاف في حياته النفسية،فيطلب السُّقيا.

وهذا الجفاف النفسي بدا واضحاً في أوصاف ذاتيّة تتسم بالألم والمعاناة،وقد برزت في قوله : (عاني القلب مكتئب)،لذلك جاءت الرابطة الوجدانية عبر التحيّة،لتصل بين قطبي العلاقة المتمثّلة في المحبّ المكتئب من جهة،والأهل النائين من جهة أخرى، وهذه التحية محمولة مع أنفاس الصبا،وهي الرياح اللطيفة التي انضمّت في دلالتها إلى الحقل السابق؛لتُضفي على المشهد مَسحة جماليّة رائعة.

وهنا لا بدّ أن نتوقّف عند مسألة مهمّة في هذا المطلع من مطالع النسيب النبوي؛ لنرى كيف وجّه الشاعر اهتمامه إلى الحديث عن العرب الذين هم أحبّته،في وقت كثر فيه الحديث عن الأتراك،وعن العناصر غير العربية؛لأنّ الطبقة الحاكمة من غير العرب.

فالشاعر لم يسلك مسلك التّملّق أو التّقرّب من الحكّام غير العرب،بل كانت المشاعر العُروبيّة تسري في كيانه لتطلّ من خلال كلماته التي تفيض بالحبّ تجاه قومه.

ولعلّ أهمّ ما يلفت النظر في حديثه عن العرب هو قوله: (قومٌ هم العربُ المحميُّ جارُهُم)؛فهو يشير إلى أولئك الساكنين في أكناف الحجاز،سادة الأمم ورمز عزّ العرب الذين فتحوا القلوب قبل أن يفتحوا البلدان؛فالجيران هم الجيرة النبوية التي أجارت الأمة وأغاثتها ونهضت بها من وهدة ضعفها،فكان الشاعر يلتمس مجدّداً النهضة بالأمة في عصر كثرت فيه القلاقل والمِحَن.

وظهر الارتباط الوجداني الشديد لدى الشاعر بالجيرة العربية في قوله : (فلا رعى الله إلا أوجه العَرب)،وربما كان لهذا الحصر دواعيه النفسية والاجتماعية والسياسية التي ترفع درجة الارتباط الوجداني إلى أعلى مستوياتها.ولعلّ التفصيلات الشعورية التي تعرّض الشاعر لذكرها بعد ذلك، تُبرز مدى الحب الشديد لهؤلاء القوم؛هذا الحب الذي وجّه إرادته نحوها،فصار سمعُهُ وبصره وفؤاده وأهله ونَسَبُهُ في سياق هذه الإرادة، دون هؤلاء الأحبّة.

ونظراً للرعاية الكبرى التي أحاط بها هؤلاء السادة الكرام سائر المؤمنين،والشاب الظريف واحد منهم،فقد أدرك أنّ لهم حقوقاً تقابل هذه الرعاية الشاملة التي ترتقي في سموّها وعمقها العاطفي إلى درجة الأمومة والأبوّة،وهما أصل الوجود الإنساني،ومصدر أصيل من مصادر العاطفة البانية للإنسان.

وبعد أن تحدّث الشاعر عن الأحبّة العرب بصيغة الغائب التفت إليهم مخاطباً بنبرة نداء مخصوص قائلاً: (يا ساكني طيبة الفيحاء)؛ فما ذكرناه عن الجيرة النبوية تجلّى هنا بصورة بيّنة، ليكشف لنا عمق العاطفة المتّجهة نحو الذات المحمدية التي تعدّ مركز العز والسيادة العربية،وغوث الأمة في وقت شدّتها.

فهذه المحبّة الصادقة التي هي من مفرزات العاطفة الصادقة أنتجت لوناً جديداً من الشعر في الأدب العربي،تمتّع بالصدق الخُلُقيّ إلى جانب الصدق الفني.كما أنّ شعر المديح النبوي،بالإضافة إلى الشعر الصوفي العرفاني المتّجه نحو الذات الإلهية (شعر الحب الإلهي)،قد حظيا بالتوافق والانسجام بين الصدق الفني والصدق

الخُلقي؛ لأنّ العاطفة الصادقة هي مركز القصيدة في مثل هذه الألوان الوجدانية العميقة من الشعر العربي.

الخصائص الفنّيّة :

*في البيت الأول من حيث المستوى البلاغي يوجد تصريع بين (كُثُب _ كَثَب)، ويوجد جناس أيضاً، فاستخدم المحسنات البديعية كعادة شعراء عصره.

*في البيت الثاني: يوجد صورة وهي (الاستعارة المكنية)،وتتجلّى في قوله : (نَفَس الصبا)، بالإضافة إلى وجود الأحرف الهامسة.

*في البيت الثالث: يعتمد على أسلوب القصر،وهذا جاء مساعداً للشاعر،ومبرزاً عاطفته القوية (الحبّ)،ومبرزاً فكره الواضح (النزعة العربية)،مستخدماً أسلوب القصر،ومما يُجلّي ويؤكّد ويُعلي من وتيرة هذا الأسلوب...

*وبالإضافة إلى اعتماده على المشتقات، وهذا إشارة على الاستمرار والحيوية والحركة،وعدم النضوب،وهذا يرتوي من معين الحب في داخله.

*واستخدامه أسلوب الدعاء،وهو أسلوب إنشائي يُفيد في إيصال الشاعر فكرته والتي هي الوصول إلى الأحبّة،والإعراب عن عاطفته المتأجّجة تجاههم.

في البيت الأخير يوجد استعارة في قوله : (عينُ الشمس تحرسها،حرستها أعينُ الشّهب).

إذاً الشاعر اعتمد على الألوان البديعية وعلى الصور كالاستعارات،واستخدم المشتقّات استخداماً يُلائم فكره وعقله.

وألفاظه كانت واضحة وسهلة وقريبة المأخذ والمتناول.

*من حيث المعجم اللغوي المستخدم: يطغى معجم الحب: الأحبّة،القلب، فؤادي،المحبّ، الحبّ)،والذي ينسجم مع حرف الروي (الباء المكسورة)،والباء تنتمي إلى معجم الحبّ.

القصيدة تنتمي إلى البحر البسيط،طويل القناة،يُفسح للشاعر أن يُعبّر عن مشاعره وأفكاره، فالغرض الأساسيّ هو المديح النبوي،والأغراض الطويلة كالمديح النبوي تدفع الشاعر إلى استخدام البحور القوية التي يُمكن أن تُعبّر عن هذا الغرض.

تُذكّرنا أبيات (الشاب الظريف) بأبيات (أبي تمّام) التي مطلعها:

السّيفُ أصدقُ أنباءً من الكتبِ في حدّه الحّدُّ بين الجدِّ واللّعبِ

فحرف الروي (الباء المكسورة) مع البحر البسيط، تُذكّرنا بالبيت السابق.

فمن أجل استنهاض الهمم يعتمد الشاعر على بحرٍ قويٍّ وعلى حرف مجهور؛ مثل (الباء).

فالشاعر أحسن توظيف العناصر الفنية كاملةً،فاستطاع أن يُوفّق ما بين الفكر (المديح النبوي) والفن وتفاصيله التي جعلت هذا النص يتّسم بالقوّة والجزالة،ويأتي بأسلوبٍ حسن،قويّ السبك.

المحاضرة الخامسة: **د.بشرى ابراهيم**

عائشة الباعونيّة

عبير الثّنا في الخافقين يفوح وبشر الهنا في الكائنات يلوح

بإيجاد من لولاه ما كان كائن ولا علمت نفس ولا نعمت روحُ

ولا حنَّ مشتاق و لا أنَ واله تضاجعه نار الجَوى فيصيحُ

ولا ذكروا سلعاً و لا قصدوا حِمى به لختام المرسلين ضريحُ

نبيٌّ له الفتح المبين وكم أتى على يده بالبينات فتوحُ

وحسبُكَ من برهان علياه أنّه دنى وتدلى والثبات رجيح

وأكرم في ذاك التّاني برتبة تأخر عن علياء مدخلها الروحُ

وكلّ كتاب منزل فيه ذكره وكلّ نبيّ بالمديح فصيحُ

بتفصيله التّوراة جاءت وكم أتت بإنجيل عيسى في البيان شروحُ

إذا شئت أن ترقى إلى ذروة العُلا ويشمل فيض للحجاب يزيحُ

تمسك به وافنَ غراماً بحبّه فإنّ التفاني في المليح مليحُ

التعريف بالشاعرة :

عائشة الباعونيّة هي عائشة بنت يوسف بن أحمد الباعوني،شاعرة أديبة فقيهة،تُنْسَبُ إلى باعون،وهي من قرى عجلون من شرقيّ نهر الأردن،ومولدها ووفاتها في دمشق،و لا يُعْرَفُ تاريخ محدّد لولادتها،لكنها توفيت سنة (٩٢٢هـ)، رحلت إلى مصر سنة (٩١٩هـ)،وزارت حلب سنة وفاتها، وكانت كثيرة التّنقّل والتّرحال.

أكثر شعرها في المديح النّبويّ والتّصوّف.فما يُميّز شخصية الشاعرة تصوّفها،فهي من أعلام التّصوّف ،وإذا أسقطنا ذلك على النص،فنحن سندرس اجتماع الأفكار الوافدة من الصّوفيّة مع المديح النبوي،أي نظرية (الحقيقة المحمّدية) الوافدة على المديح النبوي.

مناسبة النّصّ :

المديح النّبويّ والتّصوّف، إذ يتحدّث النص عن شخصية النبي صلّى الله عليه وسلّم،وأثر وجوده في الكون،ويجعله أساساً للكائنات.

فهم النّصّ:

من أهمّ الأفكار التي وردت في النص:

*تجلّي نظرية (الحقيقة المحمّديّة).

*الرّمز إلى غزوات الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام،وذكر جهاده وفتوحه.

*ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم،ومن ذلك ذكر (الإسراء والمعراج).

*ذكر دلائل نبوّته عليه الصلاة والسلام.

*التّأسّي بالنبي في إصلاح الذات بعد أن كان المقام مقام مديح وبيان.

الخصائص الفنّيّة :

لا نجد في النص المقدّمة النسيبيّة التي كانت في بُردة البوصيري،بل نجد مسارعة إلى الحقيقة المحمّدية،ومعاني المديح الأخرى،غير أنّ النص مبنيٌّ بناءً حسناً،إذ جعلت في ثناياه موجِبات ما كان في آخره، فبعد المديح، كان التوجيه الأخير للتمسّك بالممدوح والتّغنّي بحبّه.

أمّا الخيال والجانب التصويريّ فقد كان ضعيفاً، ومردّ ذلك اشتغال الشاعرة بنظرية(الحقيقة المحمّدية)،وذكر أفضلية النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وذكر ما تقدّم في كتب السابقين من أخبار.

ومن الصّور القليلة التي عمدت عائشة إلى ذكرها،قولها:(تُضاجعه نار الجوى)، استعارة.

ونجد في النص فنون الصنعة البديعية كالتصريع بين (يفوح ، يلوح).

ونجد الجناس في قولها : (نبيٌّ ، المبين ، البيّنات)،(المليحِ، مليحُ)،وبذلك لم تكن الصنعة البديعيّة طاغية كما عهدنا في المدائح النّبويّة.

أمّا الإيقاع؛فيظهر في حسن اختيار الألفاظ،فلم نستكره لفظاً يأباه السياق.

ونجد ألفاظ الشاعرة تدور حول معجم ألفاظ الفلاسفة نحو قولها : (ما كان كائن)،ومعجم ألفاظ الحبّ العذريّ كقولها: (حنَّ مشتاقٌ، أنَّ واله).

وتستمدّ أيضاً ألفاظها من القرآن الكريم ، مثل : (الفتح المبين،دنا وتدلّى)،وهذا يشي بثقافة الشاعرة الإسلامية،فهي فقيهةٌ إلى جانب كونها أديبة.

أمّا الإيقاع الخارجي ،فالنص من البحر الطويل الذي يُناسب المدائح النبوية،وفيه مساحةٌ طويلةٌ تساعدعلى استيفاء التّنظير العَقّدي العرض التّاريخيّ للمدحة النّبويّة.

وحرف الرّوي (الحاء) أفاد في تقوية معاني المحبّة التي كانت حاضرة في النّصّ كون الشاعرة متصوّفة،فضلاً عن كونها مادحة نبويّة.

المحاضرة السادسة: **د.بشرى ابراهيم**

الغزل في العصر المملوكي

أوّلاً _ العهد المملوكي التركي:

يُعدّ شعر الغزل في هذا العهد من أكثر الأغراض شيوعاً،ومن أشهر الشعراء الذين برزوا هنا: (الشاب الظريف)،فقد كان أكثر شعره غزلاً،ومنه قوله:

لا أسهر الله طرفاً نام عن سهـري وعذَّب القلب بالأشـــجان والفِكَر
يا قوم قد شفَّني وجدي ببدر دُجى على قضيب أراك نـــــاعمٍ نضِرِ
ظبيٌ من الإنس لولا سحرُ مقلتــه ما بتَّ فيه بليلٍ غير ذي سحـرِ
في حاجبيه وعينـــيه ومنطقـــــه شبه من القوس والأسهام والوتر
روض الجمال وأفق الحسن فهو ذا قد راح يجمع بين الغصن والقمر

يعرض الشاعر في هذه الأبيات الجميلة لحالته النفسية ولأوصاف الحسناء الجسدية،مستمدّاً تلك الأوصاف الجسدية من عصره وما قبل عصره،ويضمُّ إلى ذلك ما يُعرف في علم البديع بالجمع والتفريق،وفي علم البيان بالتشبيه المتعدّد،وذلك في قوله: (في حاجبيه وعينيه ...).

وقد استعمل شعراء هذا العهد في غزلهم ألفاظ الحرب، كقول (الشرف الأنصاري):

مَلامُك في الهوى يُغري ويشجي فهل من عاذرٍ لي منك يشجي

أما من مسلم ينهاك عنّي فإنّي منك في أسر الفرنج

ومنهم أيضاً (التّلّعفريّ) في قوله :

حميتَ شقيقَ الخدِّ بالمقلةالكحلا وثقفت رُمحَ القدّ بالطعنة النّجلا

وأوترت قوسي حاجبيك ففوّقت من الناظر السامي إلى مقلتي نبلا

وأطلعت من حبّي الجمال طلائعاً فما أرخص الأسرى وما أكثر القتلى

- **<u>الغزل بالغلمان :</u>**

أولع شعراء هذا العهد بالغلمان،وقد تغزّل الشاب الظريف بغلام بدوي على عادته في حبّ الجمال العربي والعرب ،فقال :

بدوي كم جدّلت مقلتاه عاشقاً في مقاتل الفرسان

ذو محيَّا يصيح بالهلال ولحاظ تقول يا لسنانِ

وقد تصدّى كثيرٌ من المصلحين لحاربة هذا الشذوذ،ومن هؤلاء : (ابن قيّم الجوزية) في كتابه : (إغاثة اللهفان في مصايد الشيطان)،وانضمّ إليهم في محاربتها بعض الشعراء كـ (ابن الوردي) الذي يقول:

من قال بالمُرْدِ فاحذر أن تصاحبه فإن فعلت فثقْ بالعار والنار

ذنب به هلكتْ من قبلينا أممٌ والعرش يهتزُّ منه هزّ إنكارِ

أستغفر الله من ذنب تقدَّمَ لي في المُرْدِقصدي به ترويج أشعاري

ويؤكّد (ابن الوردي) رفضه واستنكاره لهذا الغرض، فيقول:

ما المُرْدُ أكـــــبرُ همِّي ولا نهايـــــــــة علمي

ولستُ من قـــــــوم لوط حاشا تقـــــــاي وحلمي

وممّا يجدر ذكره أنَّ شعراء هذا العهد ثاروا على المطالع البدوية كسابقيهم،فأبى (التلعفري) ذكر ربوع لا يعرفها،وصرّح بأنّه لا يعنيه إلا الجمال الذي يُثيره:

لا يا صاح دعني من ذكر العقيق ومن منازلٍ ليس لي في نعتها شانُ

ما لي وما لربوعٍ لستُ أعرفها ما الحبّ نعمُ ولا الأوطان نَعمانُ

- **<u>الغزل بالأتراك :</u>**

وقد آثر أكثر الشعراء أن يُشبّبوا بالأتراك وغيرهم من العناصر الأعجمية،ومنهم قلّة آثرت في معظم غزلها العنصر العربي مخالفة ذوق عصرها واتجاهه العام،كـ : (الشاب الظريف)،نحو قوله:

قفْ بالرّكائب أو سقها بترتيب عسى تسير إلى الحيّ الأعاريب

يا ربّة الهودج المحميّ جانِبُهُ إلامَ جبُّكِ يغريني ويُغري بي

قال (الصّفديّ) في شرح اللاميّة: " وأمّا المتأخّرون فإنهم تغزّلوا بالعيون الضّيّقة،وهي عيون الأتراك"،وما ألطف قول القائل:

أباديةَ الأعراب عني فإنني بحاضرة الأتراك نِيطتْ علائقي

وأهلك يا نجلا العيون فإنني فتنتُ بهذا المنظر المتضايقِ

ومنه قول (ابن نباتة):

وخاطر عنت الأشواق تعجبه جآذر الترك لا زيّ الأعاريب

من كلّ أغيد ضاقت عينه فمتى يجود لي من تلاقيه بمطلوبي

ويُلمّح الشاعر هنا إلى قول (المتنبي):

مَنِ الجآذرُ في زِيِّ الأعاريبِ حمرُ الحُلى والمطايا والجلاليب

وبسبب هذا التّغيّر في مقاييس الجمال، كان الشعراء يُردّدون معاني الغزل التّقليدية في معارض جديدة أو مجدّدة.

ثانياً _ العهد المملوكيّ الجركسيّ:

كان بعض شعراء العهد المملوكي الجركسي يستهلّون مدائحهم بالغزل التقليدي،وقد لا يقفون فيه على الأطلال،بل يتحدّثون عن حالاتهم النفسية مع الحبيب،وعن محاسنه الجسدية،ومن ذلك ما قاله (أمين الدين أبو عبد الله بن محمد الأنصاري الحمصي الحنفي) كاتب (سرّ دمشق):

جفـــونٌ من تأرّقـــــــــها دوامِ مدامعُها تفيض على الدوام

فديتُ عيونَ من حرمتْ عيوني مُناها من لقـــا طيب المنام

و راشـــــت من لواحـــظها نبالا مراشفـــــها شفين من السقام

إذا لاحظنـــــي فيصـــــيب قلبي على اللـــــحظات موفورُ السهام

لقد أحسن الشاعر التّغزّل،فجاء بمعانٍ لطيفة وصور جميلة،وعبّر عن عواطف أصيلة في النفس الإنسانية،كما أنّ الطابع التقليدي قد غلب على معانيه وصوره وتعابيره.

ومن ألوان الغزل في هذا العهد ما هو شبيه بالعذري،ويُعنى فيه بالأحوال النفسية أكثر من الجسدية،ومثاله قول (ابن مليك الحموي):

ذكر الغضا فحنت عليه أضلعي وبكى العقيق فساقطته أدمعي

لله در دمـــــوع عيني إنها وقعت من الأجفان أحسنَ موقع

من لي بقلبي يومَ كاظمةٍ وقد ودعهم لو خلّفوا قلبي معي

رحلوا فكان القلب أول راحل والصبر آخر ظاعن ومُودِّعِ

وقد تأثّر الصوفيون بشعراء الحبّ العذريّ،فأخذوا منهم ألوان الحنين الكلي إلى وصال المحبوب واسترضائه،والعاطفة هنا لها شأن خاص فهي مع الذات الإلهية،يجري التعامل معها بأدب وخشوع متناهيين،فتُمحى المسافات والحدود بين الحسي والمجرّد، والعاطفي والروحي.

ومن أنواع الغزل في هذا العهد : الغزل الصوفي،وهو في عشق ذات الإله،ومثاله الأبيات الآتية لـ (عائشة الباعونية):

حبيبي أنت من قلبي قريبُ وعن سرّي جمالك لا يغيب

خلعتَ الحسن في خِلع التجلّي فشاهدتُ الجمال و لا رقيب

فلا خوف وأنت أمان قلبي و لا سقـــم وأنت لـــــي الطبيب

و لا حزن وأنت سرور سرّي ولا سؤلٌ وأنت لـــــي الحبيب

المحاضرة السّابعة: **د.بشرى ابراهيم**

الرثاء في العصر المملوكيّ

لقد كان الرثاء غرضاً رئيساً من بين أغراض الشعر أيام الحروب الصليبية والمغولية.وتناول الشعراء هذا اللون من الأدب،فأكثروا من النظم فيه، ولم يتركوا صغيرة أو كبيرة إلا ونظموا فيها شعراً حزيناً.

فقد شهد العصر المملوكي زوال المدن والممالك ،ومصارع أهلها أمام الغازين،ورأوا كيف تندك العروش،وتتقوّض الحضارات،وتغيب شموس العز والجلال.

من هذه الدوافع كلها نشأ ١_ **رثاء الممالك الزائلة والمدن**، وانصبّ على بكاء المدن المنهارة،وإثارة الهمم النائمة،وتصوير الغد الكئيب الذي يحمل معه الموت والدمار.ويمتاز هذا اللون من الشعر بصدق العاطفة،والابتعاد عن التكلّف والافتعال.

فهذا شاعر من بغداد اسمه(شمس الدين محمد بن أحمد الكوفيّ) يبكي على بغداد،مهد العلم والأدب ودرّة الحضارة،بعد أن فارقها على أمل العودة إليها،وإذا بيد التتار الباغية تضربها،وتحيلها إلى خرائب يباب،فيأتيها ويرثيها بقصيدة حزينة،تُعبّر عن صدق المعاناة تجاه المدينة المضروبة،وقد ذكر في مطلعها صحبه وأصدقاءه الذين ودّعهم إلى غير رجعة،وتمنّى الموت بعدهم،يقول:

يا ليتني قد مـــتّ قبلَ فراقـــكم ولساعة التوديع ما أحياني

ما لي وللأيـام شتّتَ صرفُهـــا حالي،وخَلّاني بـــلا خـــلّانِ

ووقف مذهولاً أمام الديار الخربة،وسألها عما دهاها وأصابها،يقول:

ولقد قصدت الدار بعد رحيلـــكم ووقفتُ فيها وقفة الحيـــرانِ

وسألتها،لكن بغـــــــير تـــكلّمٍ فتكلّمتْ،لكن بغـير لســـــانِ

لم يصف الشاعر في قصيدته المدينة المنكوبة تفصيلاً،وإنما أشار إلى ما أصابها من دمار وخراب بإشارات عابرة،وانشغل بوصف حزنه على فراق أحبابه،وألمه الذي أصابه بعد نكبتها.ولم يستطع أن يتخلّص _ وهو في موقف الحزن والأسى _ من التزيين اللفظي والمعنوي.

والشاعر(تقي الدين إسماعيل بن أبي اليسر التنوخي) كان في عداد مَنْ شهدوا نكبة بغداد ،وعانوا من أهوالها، فبكاها بقصيدة طويلة مطلعها:

لسائل الدمع عن بغداد إخـــــبار فما وقوفكَ ،والأحباب قد ساروا؟

بكى الشاعر في قصيدته على بغداد،وتأسّف على كنوزها،وتألّم على النساء الشريفات اللواتي دفعن إلى الموت وهنّ في أزرى حالة، ورفع يده إلى السماء راجياً من الله تعالى أن يُسلّط على الأعداء عذابه ونقمته:

ناديتُ والسبي مهتوك يـــــجرّهم إلى السفّاح من الأعـداء دعار

وهم يساقون للموت الذي شهدوا النار يا ربِّ نصـلاها ولا العار

إنّ الشعر الذي قيل في رثاء بغداد كثير،ونجد مثله في رثاء المدن الشامية التي خربت بيد التتار،فهذا ملكها الناصر يوسف بن الملك العزيز محمد،يُؤخذ أسيراً مع جميع أقاربه وأتباعه،وتُضرب أعناقهم بالسيوف. وقد قال الأبيات الآتية حينما مرّوا به على حلب،وهي خاوية على عروشها،وألسنة النيران تعمل في بيوتها المهدّمة:

يعزّ علينا أن نرى ربعكم يبلى وكانت به آيات حسنكم تُتلـــى

أدور بعيني نحوكم في دياركم وأكثر فيها النوح كالفاقد الثكلى

إنّ آثار هذا الغزو بقيت عالقة في الأذهان،تُثير بين الحين والآخر الأشجان والأحزان،وعلى مرّ العصور والأزمان تهزّ هذه الكارثة الشعراء كلما سمعوا بها،أو قرؤوا حوادثها المثيرة،ووقائعها المؤلمة.

٢ــ رثاء الأبطال والحكّام والأمراء:

عندما كان يهوي بطل من أبطال المسلمين،أو عظيم من عظمائهم،كان الشعراء يسارعون إلى تسجيل ما يُخلّد ذكراهم،ويضعهم أمام الأجيال نبراساً يُقتدى به.

ونقع على شعر يرثي الملك (طلائع بن رُزّيك)،ويصفه بالملك الصالح، الجواد،الحليم،الشجاع :

ذهب الصالح الذي ألبس الأيـــــــــــام من بعده ثياب الليـــالي

والذي كفَّ كفُّه أيديَ الفقـــــــــــــــر بما بثّ من جزيل النوال

مَنْ لِشنّ الغارات بعد أبيها ولصدم الأبـــطال بالأبـــطـال

٣_ رثاء الأقرباء والأحباب والأصدقاء:

إذا كان الشعراء قد درجوا على التهويل والمبالغة في مدائحهم،فإنهم ظلّوا كذلك في مراثيهم؛يُهوّلون المصيبة،ويضخّمونها،ويزعمون أنهم لعظم المصيبة سوف يبكون الراحل العزيز بالدم لا بالدمع، ونلمس صدق هذه الظواهر في مطلع قصيدة لـ(صفي الدين الحلّي)، رثى بها خاله الذي قُتل غدراً، يقول:

انظرْ إلى المجد كيف ينهدم وعُـــروة المُلك كيف تنفصم

قد كنتُ أختارُ أن أُغيّب في الـــــــــــــترب،وتبلي عظاميَ الرِّمَـــــمُ

وفي رثاء طفل صغير لأحد أصحابه يقول:

يا قضيباً ذوى وكان نضيراً ما رأيــنا له الـــغداةَ نظـــيراً

أظلمت بعده الديار وقد كا ن ســـــــراجاً بها وبــدراً منيرا

وفي مطلع قصيدة لـ(عبد الغني النابلسي) رثى بها رجلاً يُدعى بأبي الوفاء المقدسيّ يقول:

يا دهر أين أبو الوفـــــــــا وأبو المكارم والصـــــــفا

أين الهمـــــام ابن الهمـــام أين الإمـــــام المقـــتفى

أجداده الشّـــــمّ الأنـــــوف وهم من الدّاء الشّـــــــفا

بعد هذه الأمثلة يمكننا أن نقول :

إنَّ رثاء الحكّام والملوك والأعيان والنّاس في العصر المملوكي لم يختلف مضموناً عن رثاء الشعراء السابقين لهذه الفئات من الناس.أمّا العاطفة فإنّها تختلف من شاعر إلى آخر،تبعاً لعلاقة الشاعر بالفقيد؛ فهي صادقة حين تكون في رجل أحبّ الناس وأحبّوه، أو في قريب أو صديق أو عزيز. وتُنافي الصّدق إذا دعت المناسبةُ العارضةُ إلى نظم القصيدة.

المحاضرة الثامنة: **د.بشرى ابراهيم**

شعر الصّراع مع الفرنجة

احتلَّ الفرنجة ساحل الشام كلّه،والجزء الداخلي الجنوبي منه،وفيه القدس،وهاجموا مصر في عقر دارها،ولم يروا أمامهم أحداً من السلاطين والأمراء والشعب،من يوقفهم عند حدّهم،أو يُشعرهم بمقاومة جديّة، أو يثور عليهم في البلاد التي احتلوها،ولم يسارع أحد لنجدتها،على الرغم من استنجادها بالخليفة في بغداد وسائر المسلمين،فهال الناسَ هذا الخطب العظيم.

قال (المظفّر الأبيوردي) إثر سقوط (القدس) في يد الفرنجة:

مزجنا دماءً بالدّموع السّواجمِ فلم يبقَ منّا عُرضةٌ للمراحم

وشرُّ سلاح المرء دمعٌ يُفيضه إذا الحربُ شُبّتْ نارُها بالصّوارمِ

فإيهاً بني الإسلام إنَّ وراءكم وقائعَ يُلحقْنَ الذُّرا بالمناسمِ

وكيف تنام العينُ ملءَ جفونها على هفواتٍ أيقظتْ كلَّ نائمِ؟

وإخوانكم بالشام يُضحي مَقِيْلُهُم ظهورَ المَذاكي أو بطونَ القَشاعمِ

تسومهمُ الرّومُ الهوانَ وأنتمُ تجُرُّونَ ذيلَ الخَفْضِ فِعْلَ المُسالمِ

وكم من دماءٍ قد أُبيحتْ ومن دُمىً تُواري حياءً حُسْنَها بالمعاصمِ

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفةٌ تظلُّ لها الوِلدانُ شيبَ القوادمِ

يكادُ لهنَّ المُسْتَجِنُّ بطيبةٍ يُنادي بأعلى الصّوتِ:يا آلَ هاشمِ

أرى أُمّتي لا يُشرعون إلى العِدا رماحهمُ والدِّينُ واهي الدّعائمِ

أترضى صناديدُ الأعاريــبِ بالأذى ويُغضي على ذُلٍّ كُمــاةُ الأعاجمِ

وتلك حروبٌ مَنْ يَغِبْ عن غمارها لِيَسْلَمَ يَقرَعْ بعدها سِنَّ نادمِ

دعوناكمُ والحربُ ترنو مُلِحَّةً إلينا بألحاظِ النُّسورِ القَشاعمِ

تُراقبُ فينا غارةً عربيّةً تُطيل عليها الرّومُ عَضَّ الأباهمِ

مناسبة النّصّ:

يتحدّث الشاعر في هذا النّصّ عن سقوط بيت المقدس بيد الفرنجة في الحملة الأولى عام (٤٩٢هـ).

حياة الشّاعر:

هو أبو المظفّر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أمية بن عبد شمس، قهو قرشي،أما نسبته فإلى بلدة (أبيورد) في خراسان،كان راوية نسابة شاعراً،له نجديات وعراقيات،أي قصائد يتغنّى فيها بنجد،وأخرى يتغنّى فيها بالعراق،وله مؤلّف في تاريخ (أبيورد) و(نَسَا)،ومصنّفات في أنساب العرب وغيرها.توفي في أصفهان مسموماً سنة (٥٠٧هـ).كان شديد الاعتداد بنفسه وأصله،طموحاً إلى المُلك،نقل عنه (ابن خلّكان) في (وفيات الأعيان) قوله:"اللهم ملّكني مشارق الأرض ومغاربها"،وكان يرى نفسه فوق أبناء زمانه،وتُنسب إليه أقوال تدلّ على ذلك.

فهم النّصّ:

من أهمّ الأفكار التي وردت في النص:

١_ تأثّر الشاعر الشديد بسقوط بيت المقدس، ووصف حال الأمة بعد هذا الحدث،وهي حال نكسة وهزيمة وبكاء على ما أحدثه الغزاة.

٢_ تحذير الشاعر من الآتي بعد سقوط القدس، في زمن كان فيه حكّام الأمة غافلين متنازعين فيما بينهم.

٣_ إنكار أحوال الحكّام وعموم الناس الذين تخاذلوا عن حدث جلل كهذا.

٤_ محاولة الشاعر إثارة همم المسلمين بتذكيرهم بتاريخهم الطويل من الحروب مع الروم،والانتصارات التي حقّقوها.

٥_ تصوير أفعال الغزاة، وحال أعراض إخوانهم في الشام بغية استنهاض الأمة من غفلتها .

٦_ تكرار تحذير الشاعر للمسلمين بامتداد العدوان الصليبي إلى مكّة والمدينة لاستئصال الإسلام.

٧_ تأكيد الشاعر بأنّ هذه الحرب هي حرب المسلمين جميعاً،وليست خاصّة بالقدس وحدها،موجّهاً دعوته للمسلمين عامّةً،وللعرب خاصّةً للنهوض في وجه هؤلاء الغزاة،وإعادة بيت المقدس.

الناحية الفنّيّة :

* بدأ الشاعر النص بالخطاب المباشر لإيصال رسالته بوضوح تامّ ،كقوله : (وشرّ سلاح المرء ...) ،وقوله : (تلك حروب من يغب....).

* وفي مواضع أخرى عمد إلى الأساليب المجازية كالكنايات،والكناية فنّ بلاغي فيه عدول عن التعبير المباشر إلى ما يدلّ عليه دلالة تصويرية فيها إيحاء يُضاف إلى المعنى المقصود،فقد أكثر من استخدامها تعبيراً عن المعاني، فهو يكني بها عن مقاصده ،كقوله :(ظهور المذاكي،شيب القوادم، بطون القشاعم،المستجنّ بطيبة،عض الأباهم ،....).

* الجمل كانت في الغالب طويلة،وذلك لأثرٍ في وصف ما فعله الصليبيون،وأثرٍ من التوجيه المباشر للمسلمين،والإشارة للعناصر الفنية التي تُصوّر المشهد،وتُقرّبه من السامع والقارئ ،حتى إنّ بعض جمله امتدّت على بيتين كاملين ،كقوله:

وكيف تنام العينُ ملءَ جفونها على هفواتٍ أيقظتْ كلَّ نائمِ؟

وإخوانكم بالشام يُضحي مَقِيْلُهُم ظهورَ المَذاكي أو بطونَ القَشاعِمِ

*النص فيه الخبر والإنشاء،فالخبر جاء لنقل الأحداث وتصويرها،ومن ذلك قول الشاعر: (مزجنا دماء، إخوانكم بالشام،يسومهم الروم الهوان).

أما الإنشاء فكان هدفه إثارة القارئ والطلب منه وإقناعه، كقوله: (أترضى صناديد الأعاريب.....،يا آل هاشم).

والنداء هنا في (يا آل هاشم) جاء للاستصراخ والاستنجاد بآل هاشم.

*التراكيب طويلة ،وذلك مناسب لمقاصد الشاعر،فقد أراد وصف ما فعله الصليبيون في القدس،وأراد مخاطبة القارئ واستنهاضه وإقناعه، وذلك لأنه افترض في المخاطب الإنكار،وذلك لتكاسله وتقاعسه عن نصرة أهله في الشام.

*النص من البحر الطويل،وهو بحر يفيد في تصوير الأحداث والتفاصيل، واستحضار الجزئيات،كما يفيد في مقام الإقناع للمخاطبين المتقاعسين،فاحتاج الشاعر إلى جمل قليلة وصور كثيرة حتى يتّعظوا وتتغيّر أحوالهم.

النص ذو إيقاع قويّ في ألفاظه وعروضه وقافيته،فقد اختار الشاعر من الألفاظ القوي الجزل لما يُناسب الحدث،لأنّ المقام وصفٌ للحرب وتقريع للمتخاذلين،من ذلك قوله : (الدماء ، السواجم ، دمع، شبت ، مزجنا، ...)،وأكثرَ من حروف الجهر ك (الميم والجيم والدال)،والروي كان على الميم المكسورة،وهو حرف قويّ مجهور، زاده الكسر قوّةً،فازداد النص جزالةً،كما كان للقافية التي هي ركن النص دور كبير في زيادة قوّة النص وجزالته وقوّة حبكته .

المحاضرة التاسعة: **د.بشرى ابراهيم**

أنواع الأدب الشعبي :

الأدب الشعبي هو الأدب الذي يحمل خاصتين،أولاهما أن يكون بلغة عاميّة(ملحونة)،أي بلغة عامّة الشعب والناس في أحاديثهم العامّة،وقضاء حاجاتهم اليوميّة.وثانيهما: أنّه يعرض لحياة الناس من عامّة الشعب،وخبايا وجداناتهم،ومكنون مشاعرهم،كما يكشف عن اهتماماتهم.

ولاحظنا في الأدب العربي عامةً،والمصري خاصّةً اتجاهاً إلى هذا اللون من الأدب منذ القرن السادس الهجري،وكانت قد تعدّدت ألوانه ظهوراً في المشرق والمغرب،في بلاد العراق وفارس،وفي الأندلس والمغرب،ثمّ ما بينهما.

وأظهر تلك الألوان في المنظوم :القوما،والكان كان،والمواليا،والزجل،والموشّح،وفي المنثور: المقامة والقصة الشعبية،والسيرة.

ولم يقتصر دور الأدب الشعبي على ظهور تلك الألوان الجديدة في المنظوم والمنثور،بل تعدّاه إلى الأدب الفصيح،فأثّر فيه،ومال به نحوه،وصار أدباء الفصحى يُقلّدون أدباء العامية في اللفظ والأسلوب،وبعض التعبيرات السائرة،بل وفي الخيالات والصور.

وممّن تأثر بهذا كثير من كبار أدباء العصر،أمثال :(البهاء زهير،الأسعد بن مماتي،البوصيري،الحسين الجزّار،محمد بن دانيال).

الموشّح:

هو أقرب الفنون إلى القريض،لأنه يستخدم الأوزان الشعرية المعروفة.وإن تصرّف فيها وأدخل بعض أشطرها على بعض،أو استخدم تفعيلات مفردة منها وألّف بينها.وله كذلك قوالب متوارثة مدروسة،تتحد في ثلاثة أصول،هي : القفل والغصن (أو الأبيات) ثم الخرجة،وهي القفل الأخير،لكنه بلفظٍ عاميّ،ويراعى فيها أن تكون خارجة في موضوعها عن تسلسل موضوع الموشّح،فتجيء كالملحة في الختام.

وكانت الموشّحات تُصنع ليتغنّى بها،وغالباً ما يكون الوشّاح مغنّياً أو عالماً بالموسيقى،وعازفاً على آلة من آلاتها.وقد خرجت بعض موشّحات العصر بأوزانها

عن الأوزان المألوفة المعتادة،وبإيقاعاتها عن الإيقاعات المعهودة في الشعر الفصيح.وحاولت أن تدخل إيقاعات جديدة،ممزوجة بكثير من التراث الشعبي والأجنبي والمحلّي في كلّ إقليم.

وكانت موضوعات الموشّح التقليدية هي :الغزل،والشراب،والوصف،لكن استخدمه بعضهم في المديح والرثاء.

قال حميد الضرير يرثي ابن أبي الرضى الفقيه بموشّح منسجم النظم :

على ابن الرضى مضى اصطباري وسارا

وعيني قد جرت من عظم نـــاري بحارا

مدارس درســه حنّت إليـــــــه وحنّ العلم والعلما لديه

وأشياخ الحديث بكت عليه

الزجل:

يُعدّ الصورة العاميّة الخالصة للموشّح،فهو يتخذ شكله ومادته وبناءه من الأقفال والأغصان ،وإن استخدم عروض الشعر الفصيح ونظام الموشح في التركيب والبساطة.

وفد الزجل إلى مصر والشام بصحبة الموشح من الأندلس والمغرب،واكن قد خرج هناك،واشتدّ عوده على يد (ابن قزمان)،ولكن المصريين تفنّنوا فيه وبرعوا.

وغالباً ما تكون المنظومة الزجلية متّحدة الوزن،وإن تعددت القوافي،كقول (ابن جابر البغدادي) في دراويش الصوفية:

لا بد تظهر بين الناس قلندري محلوق الراس

تلبس عوض دا الكتان وحلتك صوف الخرفان

أو دلق أو تصبح عريان

وليس حصر الزجل في موضوعات الغزل والخمر والزهر ،وحكاية الحال،صحيحاً إلى حدّ كبير في هذا العصر،ذلك أن الزجل في عرفهم شمل كثيراً من الموضوعات الأخرى التقليدية أو الرسمية التي خاضها شعر التكسّب،كالمديح والرثاء.ومنه ما نظمه (بدر الدين الزيتوني) يرثي أهل مصر ممّن أهلكهم الطاعون،فقال:

وحِّدوا من قد حكمْ بالموتْ ونفذْ حكمه بما يختارْ

واحتجب عن العيون سبحانه جل من لا تدركوا الأبصار
بالممات رب البشر لمّا قد حكم في الكائنات بأجمع
اختفوا في ذا الوجود وأضحوا ما لهمْ من ذا القضا مدفعْ

المواليا:

وهو صورة أخرى من النظم الشعبي،يجري على وزن واحد غالباً،أشبه بالقصيد في الشعر الفصيح،لكنه يلتزم أشكالاً خاصّة في القافية.ويختلف الناس في نشأة المواليا وتاريخه،لكنه على أية حال عراقي النشأة،وفد إلى مصر وتأصّل كالزجل،والموشّح.
ويدور موضوع المواليا في الغزل غالباً،أو شكوى الحال،فمن الغزل قول (عز الدين أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن طرخان) :

البدر ، والسعد ، دا شبهك ، ودا نجمك
والقد ، واللحظ ، دا رمحك ، ودا سهمك
والبغض،والحب، دا قسمي ، ودا قسمك
والمسك ، والحسن ، دا خالك ، ودا عمّك

وقد يُنظم الموال في أغراض الشعر التقليدية كالمديح والرثاء ،ولكنه قليلاً ما يستخدم في هذه الأغراض،ومن هذا القليل قول (شمس الدين الواسطي) في الرثاء:

مامت حتى جفاني كل من في الحـي
وملني وقلاني كـــــل من لُو شَـئْ
و إنت ما في العَجمْ والعرْب مثْلكْ حيْ
يا من طوى بالمكارم ذِكرْ حاتـــمْ طَيْ

الدوبيت :

الدوبيت في الأصل كلمة فارسية،أطلقت على شكل من أشكال النظم الفارسي هو (الرباعية).وانتشر الدوبيت على لسان شعراء الفرس منذ القرن الخامس،وزاده شهرة الشاعر الفارسي (عمر الخيّام) بنظمه رباعياته المشهورة.ومن فارس انتقل مغرباً إلى سائر البلاد العربية ،وكان أول البلاد العربية وأكثرها تأثّراً به العراق ثم الشام فالسودان.وظلَّ الدوبيت في السودان شكلاً للتعبير في النظم العامي إلى يومنا هذا.

والدوبيت من بحور الشعر المهملة،وتفعيلاته : (فعلن متفاعلن فعولن فاعلن)،وشكله العام أو بناؤه يتكون من أربع شطرات كالموال،لكنه لا يجري على قافية واحدة مثله،بل المشهور فيه ثلاث متشابهات وواحدة مطلقة،مثل قول أحدهم :

الصب بك المنعوب والمتعوب والقلب بك الملسوب والمسلوب

يامن طلبت لحاظه سفك دمي مهلاً ضعف الطالب والمطلوب

واستخدم الدوبيت في أغراض الشعر كالغزل والعشق والتصوف،فمما قيل في الغزل قول (علاء الدين الجويني):

لله مبيتنا بضوء القمرْ والحب نديمنا وصوت الوترْ

قد رق فرق نسيمٌ سحرْ ما أبرد ما جاء نسيمُ السَّحرْ

الكان وكان :

ظهر هذا اللون من النظم الشعبي بالعراق،وأحدثه البغداديون،وسُمّي بهذا الاسم لأنهم كانوا ينظمون فيه الحكايات والخرافات،حتى جاء (ابن الجوزي وشمس الدين الكوفي) فنظما فيه المواعظ والحكم.

ومن اسم الكان و كان وما رُوي عنه، نجد أنه كان شكلاً من النظم،مخصوصاً بالقصص القصيرة التي يُقصد بها الوعظ والتبصير ،والنّصح.ولكنه مع ذلك استخدم في أغراض أخرى،فقد استخدمه (ابن جابر البغداديّ) في وصف المدرسة المستنصرية ببغداد وفقهائها، يقول:

حاشا لستِّ المدارس ومن بها يُضربْ المثلْ

تهون من بعــد ذاك التعظـــيم والشّـــرف

واتّخذه بعضهم في الشام لتسجيل الأحداث،مثل الشاعر (عمر بن الورديّ) الذي سجّل أحداث الطاعون سنة (٧٤٩هـ) الذي اجتاح مصر والشام،وأفنى قوماً كثيرين،وخرّب البلاد،يقول :

أعــوذ بالله ربّـــــــــي من شرّ طاعون النسب

بـاروده المستعـــــــلي قد طار في الأقطـــار

يدخــل إلى الدّار يحلـــف ما أخرج إلا بأهلـــها

معي كتـــــاب القاضـــي بـكلّ مــن في الـــدار

فنون النّثر الشّعبيّ :

إلى جانب تلك الصور المنظومة من الأدب الشّعبي ،نرى صوراً أخرى منثورة،كالقصّة والسّيرة الشّعبية، والمقامة (بالعاميّة).وقد حفل هذا العصر بمجموعة من السير الشعبية الكبيرة مثل : (الظاهر بيبرس، وسيف بن ذي يزن)، وظهرت قصص أخرى،وأضيفت إلى مجموعة ألف ليلة بعض القصص التي تُصوّر جو العصر وحياة المماليك وعامّة الناس.

وكانت المقامة العاميّة التي تُقلّد المقامة الفصحى من فنون النثر الشعبي الشائعة،واتخذت وسيلة للتعبير عن الموضوعات الخفيفة ،الفكاهية والساخرة،واتخذت وسيلة للهزل والإضحاك.

أعلام الأدب الشّعبيّ :

شرف الدين بن أسد المصري:

وصفه ابن شاكر بقوله : " وهو شيخ ماجن متهتّك ظريف خليع،يصحب الكتّاب ويُعاشر الندماء،ويُشبّب في المجالس على القيان".

كان عاميّاً مطبوعاً،قليل اللحن،يمتدح الأكابر،له شعر كثير من البلاليق والأزجال والموشّحات وغير ذلك،وصنّف مصنّفات عدّة في النوادر والأمثال،وكان يخلطها بأشعاره.

نقل لنا ابن شاكر مجموعة من منظوماته وبلاليقه،منها بليقة هزلية في شهر رمضان،وقد جاء في الصيف فأثقل على الناس،فيرجو رمضان أن يرحل خفيفاً،ويعده بأن يصوم في شهر طوبة،حيث البرد واليوم قصير،ولا حاجة للشرب،ول إرهاق للعَطِش.

إبراهيم المعمار :

يُعرف بغلام النويري، شاعر مشهور،كان عاميّاً، إلا أنه كان ذكي الفطرة،قوي القريحة ، لطيف الطبع،وشعره سائر مشهور،وأبياته عامرة بالمحاسن والتورية.

كان المعمار من شعراء العوام الذين يتردّدون على مجالس السلطان الناصر محمد ابن قلاوون، وكان يرتاح له،ويأنس به،وبحديثه وفكاهته،وكان يمزج كلامه بالمِلَح. وعُدَّ شاعر السلطان ينشده في المناسبات.

وأكثر نظمه في الخلاعة والمجون،ويُكثر فيه من التوريات على طريقة أدباء المصريين، كقوله :

يا قلب صبراً على الفراق ولو رميت مـــمن تحبّ بالبـــين

وأنت يا دمع إن ظهرت بمـا يخفيه قلبي سقطت من عينـي

ورُويت له مقطّعات عدّة من منظوماته الشعبية في مناسبات شتّى، مثل قوله في باب زويلة ،وكان يُعلّق عليه المجرمون ويُصلبون :

زويـــــلة بابك هذا ســـفيه يشرب ماء الخمر جهراً بفيه

ولم يزل يألف سفك الدماء وكلّ ما يقطعه الشـــرع فيه

المحاضرة العاشرة: **د.بشرى ابراهيم**

حركة التّصنيف والتأليف في العصر المملوكيّ

تمهيد :

إنّ مؤسّس الدولة الزنكية هو (عماد الدين زنكي)، وقد امتدّت دولته من الشام إلى حلب، وتصدّى لصراع الفرنجة، وحقّق انتصارات عليهم،وأشهرها فتح مدينة (الرُّها)، ثمّ جاء بعده ابنه (نور الدين محمود)، الذي ضمّ دمشق إلى مملكته، لأنّ حكّامها كانوا يتنازعون عليها، وكانوا يمدّون أيدي الخيانة للصليبيين، لكي يفوز واحد منهم بحكم دمشق، وكذلك ضمّ مصر إلى حكمه،للسبب ذاته.

ثمّ جاءت بعدها الدولة الأيوبيّة، التي أسّسها (صلاح الدين الأيوبي)، وقد امتدّت بين عامي (١١٧٤_ ١٢٥٠م)، ومن أشهر المعارك التي خاضها : (معركة حطّين)، ثمّ فُتحت بعدها (بيت المقدس)، وبعد صلاح الدين تدهورت أمور الدولة الأيوبية، وقام كثير من أمراء الأيوبيين بمدّ يد الخيانة للصليبيين،ومن ثمّ قامت بعدها دولة المماليك.

يُعدّ العصر المملوكي عصر الصراعات، فقد كانت على أوجها بين العرب المسلمين والغزاة الخارجيين، كالفرنجة والتتار في موجتهم الأولى، ثم الموجات التالية لاحقاً، ومنها حملة (تيمورلنك)، وكان من نتيجة هذه الهجمات أن هُجِّرَ كثير من علماء العراق والشام إلى مصر، التي كانت بقيادة المماليك ذوي الأصول العجمية، ولكنهم أسلموا ودافعوا عن مصر، ورعوا الحياة العلمية في بلادهم، فضلاً عن حكمهم الشام ومصر والحجاز واليمن، وقد احتلّت مصر المقام الأول في الاهتمام بالحركة العلمية والسياسية بعد تلاشي دور (بغداد) نتيجة سقوطها بيد المغول الذين هدموا معالمها، وحرقوا مكتباتها.

وقد سعى العلماء إلى التأليف،وضمّ ما تفرّق من مؤلّفات سابقة في كتب ومؤلّفات ضخمة، حفاظاً على التراث من التدمير والضياع،ونتيجة تطوّر نظام التعليم، مما يتطلّب مناهج وكتباً ومؤلّفات يمكن العودة إليها.

وقد حظي هذا العصر بنهضة علمية كبيرة بتأثير عدد من العوامل ،منها:

١_ كثرة المدارس التي شجّع على تأسيسها ورعايتها السلاطين والأمراء المماليك، حتى وُجدت مدارس مختصّة للعلوم والمذاهب، فلم تخلُ مدينة ولو صغيرة من مدارس متعدّدة، وكان الوزراء والملوك والأمراء يُنفقون عليها،ويوقفون لها الأوقاف.

٢_ تطوّر نظام التعليم إلى ما يُشبه نظام الجامعات اليوم.

٣_ خوف العلماء من ضياع التراث نتيجة الغزو والدمار اللذان لحقا ببعض البلاد الإسلامية.

٤_ هجرة العلماء من الأمصار ولا سيما من الشام والعراق إلى مصر.

أشهر المؤلّفين في العصر المملوكي:

تطوّر العلم كثيراً في هذا العصر، ولم يقتصر العلماء في أبحاثهم ودراساتهم وتأليفاتهم على الأدب،بل كان التأليف في جميع العلوم.

التأليف في علوم اللُّغة العربيّة :

نشط التأليف والتصنيف في هذه العلوم التي شهدت تطوّراً ملحوظاً ليس في مجال الجمع،وإنما في التجديد أيضاً ، ففي :

أولاً : المعاجم وجمع اللُّغة : ظهر أشهر المعاجم في هذا العصر، ومنها :

١_ لسان العرب لـ (ابن منظور):

ابن منظور هو محمّد بن مَكْرَم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الإفريقي، إمام لغويّ حُجّة، خدم في ديوان الإنشاء في القاهرة،وتوفي بها سنة (٧١١هـ)، وقد ترك بخطّه نحو (٥٠٠) مجلّد.

قيل عنه بأنه كان مُغْرَىً باختصار كتب الأدب المطوّلة، فلم يدع في كتب الأدب شيئاً إلا واختصره.

وأشهر كتبه (لسان العرب)،و(مختار الأغاني)،و(لطائف الذخيرة)،و(مختصر تاريخ دمشق) لـ (ابن عساكر)،و(مختصر تاريخ بغداد) لـ (السمعاني) ، و(اختصار كتاب الحيوان) لـ (الجاحظ).وقد قال (ابن منظور) في المقدّمة: " **وإنّي لم أزل مشغوفاً بمطالعات كتب اللُّغات، والاطّلاع على تصانيفها، وعلل تصاريفها، ورأيت علماءها بين رجلَيْنِ : أما من أحسن جمعه، فإنّه لم يُحسن وضعه، وأما من أجاد وضعه،**

فإنّه لم يُجد جمعه، فلم يُفِد حسنُ الجمع مع إساءة الوضع، ولا نفعت إجادةُ الوَضع مع رداءة الجمع" .

وقال:" **فإنّني لم أقصد سوى حفظ أصول هذه اللُّغة النّبويّة،وضبط فضلها،إذ عليها مدار أحكام الكتاب العزيز والسّنة النّبويّة، ولأنّ العالِمَ بغوامضها يعلم ما تُوَافق فيه النّيّةُ اللّسانَ، ويُخالفُ فيه اللسانُ النّيّةَ، وذلك لما رأيته قد غلب ،في هذا الأوان، من اختلاف الألسنة والألوان، حتى لقد أصبح اللّحن في الكلام يُعدّ لحناً مردوداً، وصار النّطق بالعربيّة من المعايب معدوداً. وتنافس النّاس في تصانيف الترجمانات في اللُّغة الأعجميّة، وتفاصحوا في غير اللُّغة العربيّة، فجمعتُ هذا الكتاب في زمنٍ أهلُهُ بغير لغته يفخرون، وصنعته كما صنعَ نوح الفلك وقومه منه يسخرون** ".

وهو من أوسع المعاجم،وقد جمع فيه مجموعة من المعجمات، وهي :

- (تهذيب اللغّة) لـ (الأزهريّ).
- (المُحْكَم) لـ (ابن سيده).
- (الصِّحاح) لـ (الجوهريّ).
- (جمهرة اللّغة) لـ (ابن دريد).
- (النّهاية في غريب الحديث والأثر) لـ (ابن الأثير).

يُعدُّ هذا المعجم موسوعةً ثقافيّة، فيه مادة غزيرة جداّ، إذ نجد فيه الشعر واللّغة والحديث والأخبار، وضعه صاحبه بحسب أواخر الكلمات كـ (الجوهريّ)، ولكن رأى جماعة من المحقّقين أن يُعيدوا ترتيبه على الطريقة الحديثة، فجعلوه يأخذ بأوائل الكلمات.

٢ـ (القاموس المحيط) لـ (مجد الدين الفيروز آبادي):

ويمتاز بالاختصار مع غاية الغنى، اختصرَ فيه صاحبُه معجم (لسان العرب)، وعمد فيه إلى الرموز، فبدل الجمع يكتب (ج)، وبدل جمع الجمع يكتب (جج)، وبدل بلد يكتب (د)، وبدل معروف يكتب (م)، وبدل قرية يكتب (ة)، وهو معجم موضوع على أواخر الكلمات.

ثانياً : النّحو :

١_ ابن مالك النَّحْويّ :

أندلسيّ الأصل،هاجر من الأندلس،واستقرّ في مصر، وهو صاحب (**الألفيّة**).

٢_ ابن هشام الأنصاريّ :

وهو عَلَمٌ ضخم، ذكّرَ النّاس بـ (سيبويه)، لشدّة براعته، وتعمّقه في ميدان النّحو. وقيل: إنّه أنحى من (سيبويه).وكتبهُ متداولة تُعدّ من أهمّ مصادر النّحو العربيّ، منها:

- (قطرُ النّدى وبلُّ الصّدى) للمبتدئين في النّحو، ويتّسم بالسهولة واليسر.
- (شُذُور الذّهب) ،كتاب في النّحو، متوسّط الطّول.
- (مُغني اللبيب عن كتب الأعاريب) ،يُعدّ لطلّاب المستوى العالي؛ إذ فيه تفصيل وشروح وتقليب للوجوه والآراء، وأكثره بحثٌ في الأدوات النّحويّة، فضلاً عن باب الجمل.

٣_ ابن يعيش :

صاحب كتاب (**شرح المُفصَّل للزمخشريّ**).

<u>ثالثاً : البلاغة :</u>

لم يكن هناك تجديد حقيقيّ في هذا الميدان، بل كان اتّجاهه نحو التّصنيف المدرسيّ، ومن أهمّ علمائها : **(السَّكّاكيّ)** صاحب كتاب **(مفتاح العلوم)**،الذي اختصر فيه مجموعة علوم ،منها : (البلاغة والمنطق)، وكان مادّة لمن جاء بعده كـ **(القزويني)**، الذي لخّصه، وأيضاً في كتابه الآخر (الإيضاح)، وكان تلخيصه محلّ اهتمامٍ من اللاحقين كذلك، لاستقلاله في أمور البلاغة،وآرائه الجديدة فيها.

وقد أخذ البديع يستقلّ في مصنّفات،وتوسّع مفهومه في القصائد المعروفة والبديعيات، وصار يدلّ على علوم البلاغة جميعاً، ومن أشهر الناظمين للبديعيّات : (صفيّ الدّين الحلّي)، الذي نظم الكافية البديعية، وشرحها أيضاً، وشاع تلخيصه ،ووُضعت عليه شروح أيضاً.

وأهمّ ما يُميّز التّصنيف في هذا العصر : العودة إلى ما كتبه الأوائل،وشرح ما يحتاج إلى شرح، وتلخيص ما يحتاج إلى تلخيص، وتصنيف العلوم وترتيبها، وإضافة بعض الإضافات إن احتاج الأمر لإضافة.

رابعاً : القرآن الكريم:

من الذين ألّفوا في علوم القرآن الكريم وتفسيره:

- ابن كثير.
- سبط ابن الجوزيّ.
- البارزيّ.

خامساً : الحديث الشّريف:

اشتهر هذا العصر بالتصنيف في علوم الحديث الشّريف،وذلك بسبب تشجيع الدّولة الزنكيّة والأيوبيّة، ومن العلماء الذين برزوا في هذا العصر:

- ابن عساكر.
- ابن الصّلاح الشهرزوري.
- النووي.
- المزي.
- قطب الدين اليونيني.

سادساً : علم الفقه :

من الذين اشتهروا في علم الفقه :

- عزّ الدين بن عبد السّلام .

سابعاً : علم التّاريخ :

يُعدّ علم التّاريخ ثاني العلوم التي ازدهرت في هذا العصر،ولم نجد أية حقبة أخرى صُنِّفَ فيها في علم التاريخ كما صُنِّفَ في هذه الحقبة (عصر الدول المتتابعة)، حتى إنّ الكتب التي صُنِّفت فيها تُعدّ مراجع أساسيّة في أيامنا، فقد تميّزت بأنّها استوعبت الكتب السابقة،وأضافت إليها ما كان في هذه الحقبة من أحداث جديدة، وقد دعت الأحداثُ الخطيرةُ التي مرّت بها الأمّة آنذاك، العلماءَ إلى التصنيف في

التّاريخ،كحملات الفرنجة والتتار،ممّا كان حافزاً للعلماء أن يُصنّفوا كتباً في التاريخ،ومن أهمّ العلماء:

١ _ ابن عساكر الدّمشقيّ :

المؤرّخ الأكبر آنذاك في دمشق،وأشهر مؤلّفاته :كتاب **(تاريخ دمشق)**، وهو كتاب مهمّ، حرص فيه على ذكر كلّ ما يتعلّق بدمشق،وترجمة كلّ ما مرَّ عليها، وحلَّ بها أو حكمها، سواء أكان حاكماً أم قاضياً أم وزيراً أم والياً، وهنا تكمن أهمية الكتاب الذي يقع في نحو مئة مجلّد كبير، ويُعدّ موسوعة تاريخية وعلمية ولغوية وأدبية،وتكمن أهمية الكتاب في أنّ صاحبه مُحدِّثٌ، أي لا يقبل كلّ قول، بل يُمحّص ويُدقّق.

٢ _ العمادُ الأصفهانيُّ :

صاحب كتاب **(خَريدةُ القصرِ وجريدةُ العصر)**، صنّفه حسب البلدان، وهو موسوعة كبيرة ومدخل في الأدب، وأهمّ ما فيه تأريخه لما في زمانه من أحداث.

٣ _ ابنُ الأثير الجَزَرِيُّ :

من أهمّ كتبه : **(الكامل في التاريخ)**، وتكمن أهمّيته في أنّه يُؤرّخ للحروب مع الفرنجة، وهو لا ينقل عن غيره، بل عاش الأحداث، ودوّن ما شاهده، والكتاب فيه نصوص أدبيّة كثيرة .

٤ _ ابنُ تَغري بُردي :

له كتب ضخمة كثيرة في التاريخ،منها:

- **(النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة).**
- **(المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي).**

وقد خاض في الحياة العلمية،وأرّخ للدولة المملوكية في زمانه،وفرّغ كتب المؤرّخين السابقين في كتبه.

٥ _ شمس الدين الذهبيّ :

شيخ المؤرّخين والمترجمين العرب والمسلمين،ومن علماء رجال الحديث في الجرح والتعديل،وهو محقِّق موثّق،كان تأريخه من الطراز الرفيع؛لأنه لم يقبل كل رواية أو

خبر،بل نخّل الأخبار تنخيلاً. ومن أهمّ كتبه: **(سير أعلام النبلاء)**،وهو كتاب ضخم ترجم فيه لأعلام المسلمين منذ ظهور الإسلام إلى أيامه.

٦_صلاح الدين الصّفديّ :

أديب ومؤرّخ،وناقد أدبي ومترجم للرجال،صاحب كتاب**(الوافي بالوفيات)** في التراجم،تابع فيه صنيع (ابن خلّكان)،ويُعدّ من أهم كتب تراجم الرجال، وله أيضاً كتاب **(أعيان العصر وأعوان النصر)**.

٧_ابن أبي أُصَيْبِعة :

مؤلّف كتاب **(عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء)**،ترجم فيه للأطباء.

٨_ابن حجر العسقلانيّ :

من علماء الحديث الكبار المحققين الموثّقين،ومن شُرّاح (صحيح البخاري)،له كتاب: **(الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة)**.

٩_ابن خلدون :

مؤرّخ مشهور،له كتاب : **(العِبَر وديوان المبتدأ والخبر)**،صنّفه في تاريخ العرب والبربر،ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر.ويُعدّ (ابن خلدون) مؤسّس علم الاجتماع وفلسفة التاريخ.

١٠_ياقوت الحموي :

له كتاب **(إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)**،المشهور باسم **(معجم الأدباء)**،وله كتاب **(معجم البلدان)**.

١١_تاج الدين السُّبكي :

له كتاب : **(طبقات الشافعية الكبرى)** في تراجم أعلام المذهب الشافعي خاصّة.وله كتاب في النقد الاجتماعي والسياسي قيّم جدّاً اسمه :**(معيد النعم ومبيد النقم)**.

١٢_جلال الدين السيوطي :

عالم جمّاع،له كتب عدّة في التاريخ والفقه واللغة والنحو والشريعة،وقد وصل مجموع كتبه إلى (٤٠٠) مؤلّف،ومن كتبه المهمّة:

- في التراجم : **(بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة)**.
- في النحو : **(همع الهوامع في شرح جمع الجوامع)**، و**(الأشباه والنظائر)** يقع في أربعة مجلّدات.
- في التاريخ : **(حُسْنُ المحاضرة)**.

١٣_ ابن كثير الدمشقي :

مفسّر،صاحب كتاب **(البداية والنهاية)**.

١٤_ القلقشندي :

من مصنّفاته : **(صبح الأعشى في صناعة الإنشا)**.

١٥_ النُّويريّ :

من مصنّفاته : **(نهاية الأرب في فنون الأدب)**.

الأبيات المطلوب حفظها للامتحان :

أولاً : قال البوصيري في قصيدته (البُردة):

أَمِنْ تَذكُّرِ جيـــرانٍ بذي سَـــــلَمِ مَزَجْتَ دَمْعاً جـــرى من مُقْلةٍ بدمِ
أَيَحْـــــسبُ الصَّبُّ أنَّ الحُبَّ مُنْكَتِمٌ ما بينَ مُنْسَجِمٍ منـــــهُ ومُضْطَرِمِ
أَبانَ مَوْلِدُهُ عن طِيـــــــبِ عُنصُرِهِ يا طِيبَ مُبْتَدَأٍ منـــــهُ ومُخْـــتَتَمِ
سَرَيْتَ مِنْ حَرَمٍ ليـــــــلاً إلى حَرَمِ كما سَرى البَدرُ في دَاجٍ مِنَ الظُّلَمِ

ثانياً: قال صفي الدين الحلّي يصف مغنّيةً :

أشجتكَ بالتّغريبِ في تغريـدها فظننتَ معبد كان بعض عبيدها
وشدتْ فأيقظتِ الرّقودَ بشدوها وأعارتِ الأيقاظَ طيبَ رقـــودها
فكأنّ نغمةَ عودها في صوتها وكأنّ رقّة صوتها في عـــودها
تسبي العقولَ فصاحةً وصباحةً فتــحارُ بين طريفها وتليـــدها

ثالثاً: قال الأبيورديّ:

مزجنا دماءً بالدّمـــــوعِ السَّواجمِ فلم يبقَ منآ عُرضـــــةٌ للمراحـــمِ
وشرُّ سلاحِ المرءِ دمْعٌ يُفيـــضُهُ إذا الحربُ شُبَّتْ نارُها بالـــصَّوارمِ
فإيهاً بني الإسلامِ إنَّ وراءكـــم وقائـــــعَ يُلْحِقْنَ الـــذُّرا بالمناسمِ
وكيفَ تنامُ العـــينُ ملءَ جُفُونِها على هَفَواتٍ أيقظـــتْ كُلَّ نـــائمِ؟
وإخوانُكُم بالشّامِ يُضـحي مَقِيْلُهُم ظُهُورَ المَذَاكي أو بُطُونَ القَشاعِمِ
تَسُومُهُمُ الرُّومُ الهَوانَ وأنـــــتمُ تَجُرُّونَ ذيلَ الخَفْضَ فِعْلَ المُسالِمِ